

تفسير ابن كثير

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ^ج ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ^ج وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة أن من تولى عن نصرته دينه وإقامة شريعته ، فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه وأشد منعة وأقوم سبيلا كما قال تعالى : (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) [محمد : 38] وقال تعالى : (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين) [النساء : 133] ، وقال تعالى : (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) [إبراهيم : 19 ، 20] أي : بممتنع ولا صعب . وقال تعالى هاهنا : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) أي : يرجع عن الحق إلى الباطل . قال محمد بن كعب : نزلت في الولاة من قريش . وقال الحسن البصري : نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر . (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال الحسن : هو والله أبو بكر وأصحابه [رضي الله عنهم] رواه ابن أبي حاتم . وقال أبو بكر بن أبي شيبة :

سمعت أبا بكر بن عياش يقول في قوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) هم أهل

القادسية . وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد : هم قوم من سبأ . وقال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد الله بن الأجلح عن محمد بن عمرو عن سالم عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال : ناس

من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون . وحدثنا أبي حدثنا محمد بن المصنف حدثنا

معاوية - يعني ابن حفص - عن أبي زياد الحلفاني عن محمد بن المنكدر عن جابر بن

عبد الله قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله : (فسوف يأتي الله بقوم

يحبهم ويحبونه) قال : " هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون ثم من

تجيب " . وهذا حديث غريب جدا . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد

الصمد - يعني ابن عبد الوارث - حدثنا شعبة عن سماك سمعت عياضا يحدث عن

الأشعري قال : لما نزلت : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : " هم قوم هذا " . ورواه ابن جرير من حديث شعبة بنحوه . وقوله تعالى : (

أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) هذه صفات المؤمنين الكامل أن يكون أحدهم

متواضعا لأخيه ووليه ، متعززا على خصمه وعدوه ، كما قال تعالى : (محمد رسول الله
والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) [الفتح : 29] . وفي صفة النبي صلى الله
عليه وسلم أنه : " الضحوك القتال " فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه . وقوله [تعالى] ()
يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) أي : لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله
، وقتال أعدائه ، وإقامة الحدود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يردهم عن
ذلك راد ، ولا يصدّهم عنه صاد ، ولا يحيك فيهم لوم لائم ولا عذل عاذل . قال الإمام
أحمد : حدثنا عفان حدثنا سلام أبو المنذر عن محمد بن واسع ، عن عبد الله بن الصامت
عن أبي ذر قال : أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع ، أمرني بحب المساكين والذين
منهم ، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ، ولا أنظر إلى من هو فوقني ، وأمرني أن أصل
الرحم وإن أدبرت ، وأمرني أن لا أسأل أحدا شيئا ، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا
، وأمرني ألا أخاف في الله لومة لائم ، وأمرني أن أكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا
بالله ، فإنهن من كنز تحت العرش . وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا أبو المغيرة حدثنا
صفوان عن أبي المثنى أن أبا ذر قال : بايعني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا

وواثقني سبعا ، وأشهد الله علي تسعا ، أني لا أخاف في الله لومة لائم . قال أبو ذر :

فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " هل لك إلى بيعة ولك الجنة؟ " قلت : نعم

، قال : وبسطت يدي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشترط : على ألا تسأل الناس

شيئا؟ قلت : نعم . قال : " ولا سوطك وإن سقط منك يعني تنزل إليه فتأخذه . " وقال

الإمام أحمد : حدثنا محمد بن الحسن حدثنا جعفر عن المعلى القردوسي عن الحسن عن

أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا لا يمنعن أحدكم

رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهد ، فإنه لا يقرب من أجل ، ولا يباعد من رزق

أن يقول بحق أو يذكر بعظيم " . تفرد به أحمد . وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا

سفيان عن زبيد عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمرا الله فيه مقال ،

فلا يقول فيه ، فيقال له يوم القيامة : ما منعك أن تكون قلت في كذا وكذا ؟ فيقول :

مخافة الناس . فيقول : إياي أحق أن تخاف " . ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش عن

عمرو بن مرة به . وروى أحمد وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي

طوالة عن نهار بن عبد الله العبدى المدنى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله لیسأل العبد يوم القيامة ، حتى إنه لیسأله يقول له : أى عبدى ، رأيت منكرا فلم تنكره؟ فإذا لقن الله عبدا حجته ، قال : أى رب ، وثقت بك وخفت الناس " . وثبت فى الصحيح : " ما ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه " ، قالوا : وكيف يذل نفسه يا رسول الله؟ قال : " يتحمل من البلاء ما لا يطيق " . (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) أى : من اتصف بهذه الصفات ، فإنما هو من فضل الله عليه ، وتوفيقه له (والله واسع عليم) أى : واسع الفضل ، عليم بمن يستحق ذلك ممن يحرمه إياه .